بحث بعنوان

((دراسة دلالية في سورة الكوثر

للطلاب..(مريم حميد عبد الله..دعاء حيدر جبار)

المقدمة

نزل القران الكريم بين ظهراني قوم كانت الفصاحة والبلاغة تسري في عروقهم مسرى الدم ولكنهم لما سمعوا بآيات القران العظيم لم يتمالكوا انفسهم من الاعتراف بشرفية هذه الكلمات الملكوتية وعجائب نظمها وتركيبها لحد لم تستطع ان تتعقله عقولهم واعتراف الوليد بن المغيرة بذلك اشهر من ان يجهل اذ قال لما سمع بعضا من القران الكريم يتلى ك ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلى ولا يعلو عليه وكيف لا يكون كذلك وهو تنزيل من رب العالمين ٠

وكان القران لا لايزال كريما معطاء تستوحي منه البشرية جيلا بعد جيل ما ينير المظلم من بصائرها ويضيء المدلهم من فكرها وعقلها وهو لايزال غضا طريا ٠

وقد وقفت عقول البشر حائرة في عجيب هذه الالفاظ وتلك التراكيب تتأملها مليا وتطيل النظر الى سحرها الاسر وهي تحاول ان تفهم النص او تقرأه بتعبير الحداثيون على وفق ما عندها من ادوات الفهم والقراءة ولا يكاد جيل من الاجيال التالية لنزول القران من تقديم افهامه وقراءته لنص المقدس وكان الله تبارك وتعالى قد قيض لهذا الكتاب المنزل من يحفظه تفسيرا وفهما في كل العصور السابقة نها واللاحقة كما ينبغي ان لا نغفل الاشارة الى قابلية النص القراني على مواكبة كل الازمنة مواكبة حية ومؤثرة فهو الملجأ التي تفزع اليه الامة في الشدائد والملمات وهو والعترة الطاهرة حدد النب صلاح الامة باتباعهما وطاعتهما بقوله ( اني مخلف فيكم ما تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ٩)

ولعلي لا اجد غضاضة في القول ان البشرية كلما تقدمت وتطورت عقولها استخرجت فهما لنص الكريم ابعد غورا واعمق دلالة واكثر انفتاحا على الانسانية حتى لقد ورد في اخبار اخر الزمان ما مضمونه ان الامام المهدي (عج) حين يخرج فانه يأتي بقران

جديد ولا يحتمل في الجدة هنا انه (ع) يأتي بسور وآيات غير التي نقرا ونسمع بل المراد ان يأتي للناس بفهم جديد للنص الكريم لم يسبق لهم ان عرفوه وبمغزى لم يكتب



لهم ان وعوه اي ان الامام (ع) يأتي بالتفسير الواقعي للكتاب الكريم وليس التفسير الظني الاحتمالي الذي يقوله المفسرين ٠

وتأسيسا على ما تقدم فالأمة بنخبها من ذوي الاختصاص مطالبة بالتعاطي مع الكتاب الكريم تعاطيا يكشف المزيد من اعجازه ويستجلي منه المعالجات الناجحة للمشكلات الاجتماعية الكبرى والتي تعصف بالعالم كل يوم دون ان يهتدي الى حلها وسبيلا وهذه مسؤولية عظيمة تقع على العظماء من ابناء القران ٠

واذا ما تأمل المرء في القران فربما انثالت على ذهنه بعض الايحاءات من خلال ما قراء وتأمل فيستشعر جمال لفظه وروعة تركيبه وساحرية اسلوبه ومن هنا انطلق هذا البحث محاولة خجلى لمقاربة واحدة من قصار سور القران الكريم وهي سورة الكوثر ٠

واما لماذا ( الكوثر ) دون سواها فلاني ارى انها تغتني كما كل القران وتكتنز بعدا دلاليا حريا بالتحري وجديرا بالاستكشاف ٠

وكانت كتب التفسير مما لا يستغني اي بحث من هذا النوع عنها اضافة الى بعض الكتب المعاصرين ممن قدموا قراءاتهم لبعض النصوص القرآنية ٠

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين :-

الاول تناول سبب النزول وتسمية السورة واقوال المفسرين فيها ثم معناها العام ٠

اما الثاني فقد تضمن وقفات دلالية احتوتها السورة كما بدت لغيري مرة ولي مرة اخرى ٠

ومما ينبغي قوله هو اني ادين بالشكر والعرفان للأستاذ الفاضل الدكتور سلام الاوسي على محاضراته التي كانت معوانا لي على التأمل والبحث عما وراء الالفاظ فجزاه الله عني خيرا ٠

وختاما اسال الله تعالى ان يجعل التوفيق حليفي في كتابة هذه الوريقات فان كان فهذا من فضل ربي والا فانه من قصوري وتقصيري ٠



## التمهيد

سورة الكوثر هي وتحدة من من السور المختصة برسول الله (ص) كسورة الضحى والانشراح مثلا وهي من السور المكية كما يذهب اكثر المفسرين ويؤيد ذلك كونها من السور القصار ٠

والسورة المباركة تقرر واحدا من اهم الثوابت في السنن الالهية وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما بعث الانبياء والرسل الى البشرية لم يتركهم وحدهم يصارعون المواقف والمحن مع الطغاة والاجلاف بل كانت الرعاية السماوية والرعاية الربانية حاضرة عندما يتطلب هذا الموقف او ذاك تدخلا ٠

وما سورة الكوثر الا مثال على العناية الربانية الكبرى بالنبي (ص) حينما حاول نفر من عتاة من قريش ومردتهم ان يهزؤوا به (ص) لما اراد الله تعالى امتحان نبيه بموت ولديه وفي ذلك الامتحان حكمة واية حكمة ؟

الحكمة ان النبي محمد (ص) ليس سلطانا او ملكا دنيويا اذا مات انقطع ملكه وتبدد سلطانه كما وهمت قريش ذلك جاهلة انما هو نبي مكلف بايصال رسالة الله البشر الله الى البشر وليس يمكن اتمام هذه المهمة الكبيرة العالمية بشخص واحد وان كلن النبي محمد بن عبد الله (ص ) لانه سوف يموت قبل ان يصل صوت الحق الى الناس كافة وهذا الذي كان فلقد توفي النبي (ص ) في السنة الحادية عشر للهجرة والناس لا زالو حديثي عهد بالدين الجديد ورواسب الجاهلية لما تقتلع من نفوسهم التي هذبها الاسلام وعلى هذا لابد من وجود خليفة للنبي (ص) يقوم مقامه بعد رحيله ويكمل ايصال

الرسالة من حيث انتهى الرسول (ص) والخليفة لابد ان يكون معينا من السماء مرضيا عندها لائقا وجديرا بالمهمة ومن اجدر بذلك من علي بن ابي طالب (ع) فاختاره الله ثم اوحى الى النبي (ص) وهو في حجة الوداع ان يبلغ ما حمل فصدحت الاية (( يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالتك والله يعصمك من الناس )) فبلغ النبي ما امر وتم اخذ البيعة للامام علي (ع) في قصة الغدير المشهورة



فنزل اثر ذلك قوله تعالى (( اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني )) المائدة /٣ ، يئس الكفار وقتئذ من ان يموت الدين بموت نبيه (ص) لانه جعل له خليفة يقوم مقامه وهذا الخلف ليس شخصا واحدا بل سلسلة طاهرة معصومة كوثرية تبدأ بالوصي علي بن ابي طالب (ع) حتى منقذ البشرية من الجهل والضلالة الامام الحجة المنتظر (عج) وهذه السلسلة هي التي حفظت الاسلام بعد رحيل الرسول الاعظم واكملت رسالته المقدسة فأيقنت قريش ان محمدا لم يموت ولن ينقطع اثره ولا ذكره وان مات اولاده فان امتداده الفكري والعقائدي والروحي او بتعبير اخر امتداده الرسالي حي موجود في كل زمان ٠

وهذه القضية من الأهمية بمكان لابد ان يعتقد بها المؤمن برسول الله ويعض عليها النواجد لتكون لها دافعا ومحركا للعمل الرسالي واجه العنت والممانعة فما دام بعين الله فالله حافظه وكافيه ومثلما ينبغي تركيز هذه القضية في اذهان المؤمنين كذلك لابد من ترسيخها وبنفس الاهمية في اذهان الكفرة برسول الله والمشككين برسالته ونبوته حتى يتيقنوا ان الله خاذلهم وانهم مهما كادوا للإسلام واهله الغوائل فان الله رادَّ بحكمته وتخطيطه كيدهم الى نحورهم ٠

وسورة الكوثر تعالج موضوعا مثل هذا او قريبا منه فالكلمة الخبيثة الصادرة من افواه عتاة قريش الواصفة النبي بانه ابتر لم يكن مدلولها عندهم انه مات اولاده بل كانت تلمز الى ابعد من ذلك غورا تلمز الى موت الرجل الذي مرغ كبريائهم وموت الدين الذي ساواهم وعبيدهم ثم جاءت المفاجئة ان ابشروا ايها الكفالر فمحمد لن يموت روحا وفكرا ولن يعدم دينه انتشارا وامتدادا وما انتهى عند هذا الحد بل انت يا طواغيت

قريش ستنالون ما تمنيتوه للنبي من موت واندثار وانحسار انتم من سيتجرع الذل الى نهاية المطاف ٠

٤

سورة الكوثر قد تبدوا بنظرة سطحية انها سجال كلامي بين النبي واعدائه جاءت السماء لتسجله ثم لتعطيه كلا من طرفي النزاع ما يستحق فالعطاء الكوثري للنبي العظيم والقلة والانبتار لشانئيه وانتهى الامر لا فالمسالة ليست بهذه البساطة ٠

سورة الكوثر تستبطن حربا حامية بين النبي والمرسل وبين اعدائه الذين لم ينفكوا لحظة عن مناجزته العداء هي حرب ان يكون الاسلام او لا يمون وهنا تتدخل السماء تدخلا ذا بعدين كلاهما نابع من منبع العناية الربانية بالرسول والرسالة فتؤيد النبي بان تجعله له الذرية الكثيرة التي تعوضه عن فقد ولديه ثم تكون له امتدادا رساليا وهذا الشق الاول من التدخل الالهي واما الشق الاخر فان ينال شانئوا الرسول ما يستحقونه من خزي وذل في الدنيا قبل الاخرة ٠

وختاما يحسن بنا ان لا ننظر الى الرسول على انه فرد وان لا ننظر الى عدوه بنفس بنفس النظرة بل ان رسول الله يمثل فمة الهرم للاسلام وشانئه يمثل الجهة الجهة الاخرى المناوئة وفي كل زمان هناك من يمثل النبي وهناك من يمثل عدوه وتاسيسا على هذا فما ثبت لرسول الله من خير وعطاء كوثر سوف ينال اتباعه منه وكل بحسبه ( فسالت اودية بقدها ) سورة الرعد /١٩ وما لزم من عذاب وخزي لعدو النبي سوف ينعكس على كل اعدائه ومؤيديهم الى يوم القيامة ٠

# المبحث الاول

# سبب نزول الآية

# تسمية الآية

# وقفة مع مفرداتها

سبب نزول السورة

لعل من المناسب ان يكون سبب نزول السورة مفتاحا لفهم معناها ومرادها العام حتى يكون كاشفا عن شيء من اسراريتها طبعا مع عدم توقف دلالة السورة عنده اي سبب النزول او اقل مع امكان وجود مصاديق غير التي وردت في سبب النزول يمكن ادراجها تحت مفهوم السورة في كل عصر من عصور البشرية بلحاظ ان ( خصوص المورد لا يخص الوارد ) وتمشيا مع قاعدة الجري والانطباق او ( كالذي ورد عن الامام الصادق ( عليه السلام ) :- ان القران حي لم يمت وانه يجري كما يجري الليل والنهار وكما يجري الشمس والقمر ويجري على اخرنا كما يجري على اولنا )[١] ٠

يذكر الشيخ الطبرسي ان السورة ( نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه راى رسول الله يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا ولناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا : من الذي كنت تتحدث معه ؟ قال : ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن : ابتر فسمته قريش عند موت ابنه ( ابتر )[٢] ٠

ويطيب لي ان اعلق على هذه الرواية تعليقا موجزا :

ان صناديد قريش المذكورين في الرواية حين اخبرهم العاص بانه تحدث مع الابتر وكان يعني النبي لم يجهلوا بالابتر كما تدل الرواية مما يعني ان هذا الوصف الذي كانوا ينبزون به النبي لم يكن العاص بن وائل قد ارتجله تلك اللحظة بل كان متعارفا مشهورا عندهم ان يصفوا الرسول بهذا الوصف البعيد عن الخلق والمجافي للذوق ٠

١ ـ منة المنان في الدفاع عن القران ، محمد الصدر ، ص١١٧-١١٨ ٠

٢ ـ مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي ، ج١٠،ص٤٥٩ ٠



سبب تسمية السورة

لو تجاوزنا الدائر بين المفسرين حول اسماء السور القرآنية هل هي توقيفية او لا ؟

لقلنا : سميت هذه السورة المباركة موضوع البحث سورة الكوثر جريا على المتعارف في تسمية سور القران الكريم اما تلميحا الى قصة مميزة في السورة جرت احداثها في الامم الغابرة وجرى او سيجري في الامة الاسلامية ما يماثلها لتتادب الامة من خلالها وعلى وفق ما تفرزه تلك القصة من نتائج ومعطيات كسورة البقرة مثلا او الكهف ٠

او اشارة الى لفظة السورة تلفت نظر القارئ وتستدر فهم المتأمل وتتفجر معانيها متدفقة خلاقة كسورة الفلق او العلق مثالا ٠

او تركيزا على قضية تتبناها السورة لا تحيد عنها ولا تكاد تفارقها الا لتقاربها من محور اخر وهذا غالبا ما يكون من القضايا العقائدية الصميمة بالنسبة للمسلم لكي يتمعن فيها ويتثبت ويعقد على ذلك قلبه كالقضية التوحيدية في سورة الاخلاص والقضية الكوثرية لو جازت تسميتها في سورة الكوثر ٠

ولا ازعم ان السورة القرانية جميعها سميت بهذه اللحاظات الثلاثة انفة الذكر فربما كان من المحتمل او المؤكد وجود اسباب وموازين غيرها في اسماء السور القرانية ٠

الا ان هذه اللحاظات نتاج ظاهرية او سمها سطحية ان شئت عنت لي وتبدت ٠

وقفة مع مفردات السورة

ان المعاني الظاهرية المعجمية لمفردات السورة تبدو واضحة لا لبس فيها ولكن هذا لا يعفينا من وقفة فيها شيء من التوسع على تلك المعاني والمداليل وذلك باستعراض اراء بعض المفسرين وترجيح بعضها عند الاختلاف لنخلص الى المعنى العام للسورة في نهاية المطاف

( الكوثر ) : بليغ الكثرة كما يقول الزمخشري ولفظة الكوثر صيغة من الكثرة وهو مطلق غير محدد كما ان الكثرة والقلة يستعملان في الكمية المنفصلة كالأعداد [١].

ومن المعلوم ان الكثرة تقابلها قلة فاذا ما علمنا ان القلة في بعض الاستعمالات تطلق ويكنى بها عن الذلة فان الكثرة يكنى بها ايضا في بعض الاستعمالات عن العزة كقوله تعالى (( واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم )) الاعراف ٨٦ ، وقول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر

ولا يمنع هذا من تجيء الكثرة في مورد الذم وتاتي القلة في مقام المدح كقوله تعالى :- (( وما امن معه الا قليلا )) سورة هود ٤٠ ، وقوله تعالى (( وقليل من عبادي الشكور)) سورة سبا ١٣ وقوله تعالى (( وما يؤمن بالله الا وهم مشركون )) سورة يوسف / ١٠٦ .

والفيصل في هذا المعنى او ذاك هو السياق طبعا وعلى ذلك يكون الكوثر محمولا على المعنى الاول لا الثاني فالسياق يشهد بذلك لأنه عطاء الهي من رب مقتدر لا متناه فكل ما يعطيه سبحانه هو خير وحسن وجميل يجب ان يقابل بالشكر والثناء[٢] .

١ ـ اساس البلاغة ، الزمخشري ،ج٢،ص١٢٣ ٠

٢ ـ في ضلال القران ـ سيد قطب ،ج٣٠،ص٣٦٧ ٠



وقد اختلفت المفسرين في معنى الكوثر المعطى للنبي بعضهم ذهب الى نهر في الجنة مستند الى رواية اخرجها مسلم عن انس بن مالك قال : قال رسول الله (ص ) : ((الكوثر نهر اعطانيه ربي في الجنة ))[١] ٠

ورجح قسم اخر الى ان معنى الكوثر اكثر ما يصدق في الاية على الذرية مستفيدا من سياق السورة وتحديدا من ايتها الاخيرة وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله (( ان شانئك هو الابتر )) خاليا من الفائدة [٢] ٠

وراى ثالث ان يترك تحديد معنى الكوثر تمشيا مع الاية حيث تركته دون ان تحدد معناه ومن ثم تركه النص بلا تحديد يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد [٣] ٠

كما ان هناك معاني اخرى كثيرة للكوثر ذكرها بعض المفسرين وصفها صاحب الميزان بانها لا تخلو من تحكم [٤] ٠

ارتاينا ان نعرض عنها مكتفين بالاشارة الى ما تقدم لاهميته ولكون غيره راجعا اليه ٠

والذي يبدو من هذه الاراء الثلاثة ان الاول منها قابل للمناقشة حيث لا يحسن الاخذ به وحده بل يمكن قبوله مصداقا من مصاديق الكوثر لا انه المصداق الوحيد والسبب في ذلك اننا لو اخذنا بهذا الراي لاستلزم عدم وجود سنخية بين العطاء الالهي وبين تعبير المشركين للنبي بالابتر فقل لي بربك ما المناسبة بين ان تصف قريش النبي بالابتر فتوجع هذه الكلمة قلب النبي ثم تاتي السماء لتمسح على قلبه الشريف وتقول له : ان لك نهرا في الجنة ؟

ان في ذلك تجافيا وعدم اتساق لا يخفى على من يطيل النظر في السورة قليلا ٠

١ ـ الاتقان في علوم القران ، جلال الدين السيوطي ،ج٤، ص٢٩٧ ٠

٢ ـ الميزان في تفسير القران ، محمد حسين الطباطبائي ، ج٢٠، ص٤٢٩ ٠

٣ ـ في ضلال القران ، ج٣٠، ص٣٦٧ ٠

٤ ـ الميزان ، ج٢٠، ص٤٢٩ ٠



في حين ان الرأيين الاخرين يمكن ايجاد معنى جامع بينهما وقبوله فحمل الكوثر على الذرية كما ينص الراي الثاني ولا يتعارض مع السياق بل ينسجم معه تمام الانسجام فالمشركون وصفوا النبي بالأبتر فيطيب الله تعالى قلبه بان يعطيه الذرية الكثيرة ومن جانب اخر اننا ندرك بالحس والوجدان ان ذرية رسول الله من ابنته فاطمة(ع) من الكثرة بحيث لا تدانيها اية ذرية اخرى على وجه الارض ٠

واما الراي الثالث فيمكن قبوله ايضا لأنه يتماشى مع ظاهر السياق الذي ترك الكوثر دون ان يقيد المراد به هذا من جهة ومن اخرى فعدم التقييد ينسجم مع عطاء اله تعالى غير المتناهي وغير المحدد بحد وكذلك يتسق مع تضحيات النبي الجسيمة والعظيمة التي يستحق عليها الخير كل الخير ومن جهة ثالثة فان هذا العطاء المطلق المتعدد الجوانب سيكون اكثر ايلاما لشانئي رسول الله وادعى لتوهين احلامهم الضالة ليكفو عن محاربة رسول الله ويتيقنوا فشل مخططتاهم ٠

وبناء على ما تقدم نفهم من معنى الكوثر الذرية الطيبة اولا واساسا ثم ننطلق من هذا الفهم لنتوسع فيه بحيث يكون شاملا لكل اقسام الخير الدنيوية منها والاخروية ٠

(فصل ) من المعلوم ان الصلاة انما سميت كذلك لانها الصلة بين العبد وربه ومعن ( صل ) اي ادم هذه الصلة بينك وبين خالقك تبارك وتعالى ٠

**التفاتة**

لو تتبعنا ايات القران العظيم التي تامر العباد بالصلاة فانها في الاعم الاغلب تقرنها بلفظ اقيموا او اقم او ما شابه ذلك كقوله تعالى (( واقيموا الصلاة واتوا الزكاة )) الاسراء /٧٨ وهكذا الكثير من الايات الا ان من سورة الكوثر خاطبت النبي خطابا مغاير او مختلفا اختلافا يتناسب مع مغايرة مقامه الشريف لمقامات الاخرين واختلاف منزلته واستعداداته عن منازل الاخرين واستعداداتهم حيث قالت (فصل) ولم تقل (فاقم الصلاة) مثلا وقد يعود هذا لاسباب منها :-

١ ـ اذا فهم معنى اقيموا الصلاة اداوها على اكمل وجه واتمه فهذا الخطاب انما يصلح لمن يؤدي صلاته متارجحة بين الكمال والنقص كما هو حال غير المعصومين اما رسول الله فان جميع افعاله ومنها صلاته تكون على وجه الكمال وعليه فلا حاجة الى امره باتمام شيء هو ياتي به على وجه الكمال والتمام ولا ننسى ان هذه الاية الكريمة من مختصاته ٠

٢ ـ ان الصلاة هنا كانت شكرا على العطاء الالهي الكثير الفياض وهذا العطاء الكوثري ينبغي ان يقابل بالشكر السريع الفوري ولذا لم يستغرق القران وقتا وان كان قليلا جدا بان يقول للنبي اقم الصلاة لان فعل الاقامة سيكون فاصلا بين العطاء الالهي المتمثل بالكوثر وبين الشكر النبوي المتمثل بالصلاة ٠

وان القران الكريم في هذا المورد اراد اظهار عظمة النبي وعبوديته لله تعالى في فورية وشكر للمنعم العظيم فما ان حصل العطاء الرباني الكوثري حتى بادر الى الشكر مسرعا دون ان اي تأخير او تريث والنبي بهذا الشكر الفوري ينال عطاء اضافيا جديدا

ويضاف الى كوثره الاول كوثر ثان وثالث وهكذا تسايرا مع اية (( لان شكرتم لأزيدنكم )) ابراهيم /٧ ٠



ويمكن ان تعد الصلاة هنا الثقل الاول في كفة الشكر ٠

( ربك ) الرب هو الخالق المدبر ٠

(انحر) فعل امر ويمثل الثقل الثاني في كفة الشكر ويوجد اكثر من فهم لهذا اللفظ نكتفي بالمهم منها :-

١ ـ نحر الاضاحي وقد ورد هذا المعنى في مجمع البيان حيث قال ( وانحر ) مفعوله محذوف اي وانحر اضحيتك [١] ٠

٢ ـ ان يكون معنى ( وانحر ) هو استقبل القبلة في الصلاة لان النحر اعلى الصدر والعرب تستعمل كلمة النحر لاستقبال الشي فيقولون منازل تتناحر اي تتقابل [٢] ٠

٣ ـ معنى ( النحر ) هو رفع اليدين عند النحر لدى التكبير [٣] ٠

ويطيب لي ان اناقش هذه الآراء بنقاط

١ـ يمكن بوجه من الاوجه الجمع بين هذه المعاني الثلاث المتقدمة اذ يمكن ان ينحر النبي الاضحية وان يتجه جهة الكعبة اثناء الصلاة وان يرفع يديه لدى التكبير وربما كان هذا الجمع متناسبا مع اطلاق الفعل ( وانحر ) دون تقيده بقيود ٠

٢ ـ اذا كان لابد من ترجيح احد الاراء الثلاثة فانا اميل للراي الاول مع الذاهبين اليه وسبب الميل ان الوجهين الاخيرين فيهما نظر ولا يخلوان من نقاش اجماله ما ياتي :-

أ ـ ان ظاهر اللفظ ينسجم مع الراي الاول فهو المتبادر الى الذهن للوهلة الاولى ولا مشاحة في قبول الظاهر هنا ٠

١ ـ مجمع البيان ، ج١٠، ص٤٥٨ ٠

٢ ـ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ج٢٠،ص٣٨٦ ٠

٣ ـ المصدر نفسه ، ص٣٨٦



ب ـ اذا حملنا معنى ( انحر ) على استقبال القبلة في الصلاة فهذا خلاف الوجدان اذ لا يمكن ان تتصور ان شخصا ما يدخل الى حرم الكعبة ليصلي دون ان يتجه الى الكعبة المشرفة في صلاته بل ورد في التاريخ ان المشركين كانوا يضعون اصنامهم فوق الكعبة المقدسة ويطوفون حولها ويتوجهون اليها من حيث قصدوا ذلك او لم يقصدوه بمعنى ان الكعبة صارت نقطة الروحي والعقائدي للمسلمين بل وحتى للمشركين يوم كانت اصنامهم منصوبة فوق البيت الحرام وبهذا يكون الامر باستقبال القبلة مفروغا منه وتحصيلا للحاصل وبعبارة اخرى ان التوجه للكعبة المشرفة في تلك الحال ليس فيه مزية ولا فضيلة حتى يامر الله تعالى نبيه به لكونه حاصلا من كل داخل لحرم الكعبة للصلاة فيها ٠

يضاف الى ذلك كله ان التاريخ يحدثنا مرة اخرى ان النبي امر بالتوجه للكعبة المشرفة اثناء الصلاة يوم الخامس عشر من شهر شعبان في السنة الثانية الهجرية بعد ان صلى صلاة الظهر في ذلك اليوم متوجها الى المسجد الاقصى وجاءه الامر الالهي بالتوجه في صلاة العصر الى البيت الحرام ٠

ج ـ والان بعد ان ناقشنا الراي ورايناه لم يصمد امام النقاش ناتي لمناقشة الراي الثالث ونقارنه بالراي الاول وبعد المقارنة يبدو لي ان الراي الاول متناسب مع جو الاية وملتصق بها اكثر من الثالث كون الاضحية تمثل عبادة منفصلة عن عبادة الصلاة فعلى الراي الاول يكون الشكر والعطاء الالهي بعبادتين هما الصلاة والزكاة متمثلة بالنحر اما رفع اليدين عند النحر فهو وان كان امرا مستحبا الا انه ليس بمنفصل عن الصلام بل هو متلبس بها وعلى هذا الراي يكون الشكر بعبادة واحدة وهي الصلاة ٠

واذا كان الشكر ( تصور النعمة واظهارها )[1] فان اداءه بعبادتين منفصلتين احداهما بدنية ( الصلاة ) والاخرى مادية ( الزكاة ) يكون اظهر وابلغ من ادائه ببعبادة واحدة فقط (الصلاة ) وهذا لعله اقرب الى المنهج القراني التربوي الذي يركز على هاتين

---

١ ـ المفردات ن ص ٢٧٥ ٠



العبادتين مجتمعتين في غير اية (( اقيموا الصلاة واتوا الزكاة )) ونخلص من ذلك الى ان النحر بمعنى نحر البدن او الاضاحي شكرا لله تعالى هو اقرب الاراء الثلاثة ٠

شانئك هو المبغض او ( مطلق المنتقد والعدو ) وهذا المبغض هو العاص بن وائل كما تقدم في سبب نزول السورة ولا يعني ذلك انه هو المعنى بها حصرا بل كل عدو للنبي يصدق عليه ذلك [1] ٠

الابتر اصله الحيوان المقطوع الذنب وهو كناية عن قطع الذرية فالابتر المقطوع الذكر ومنه سميت خطبة زياد بن ابيه بالبتراء لانه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي (ص)[2] ٠

وهذه الاية الثالثة تعيننا على فهم الكوثر بمعنى كثرة الذرية وكيفما كان فقوله اخر السورة ان شانئك هو الابتر وظاهر الابتر المنقطع نسله وظاهر الجملة انها من قصر القلب ان كثرة ذريته (ص) هي المراد وحدها بالكوثر الذي اعطي للنبي او المراد بها الخير الكثير وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله ( ان شانئك هو الابتر ) خاليا من الفائدة [3] ٠

وبعبارة اخرى ان يكون الابتر بمنزلة القرينة المتصلة على ان المراد هو الذرية [4] ٠

والمحصلة فالابتر هو المقطوع عن كل خير او المنقطع عنه كل خير جزاء عقيدته الفاسدة واعماله المضللة ٠

---

١ ـ منة المنان ، ص ١١٦ ٠

٢ ـ المفردات ص٤١ ٠

٣ ـ مجمع البيان ،ج١٠، ص٤٨٥ ٠

٤ ـ الميزان ،ج٢٠، ص٤٢٩ ٠



# المبحث الثاني

# دلالة السورة

## ـ الدلالة المعجمية

## ـ الدلالة الصوتية

## ـ الدلالة الصرفية

# ـ الدلالة النحوية والبلاغية

**الدلالة المعجمية**

ونقف هنا عند اربع كلمات من السورة هي :- ( اعطى ـ الكوثر ـ ربك ـ ابتر )

**١ ـ دلالة الفعل ( اعطى )**

بعد التتبع لايات القران الكريم نجد ان النبي حظي بالعطاء الالهي بلفظ الاعطاء تحديدا مرتين او اقل عطاءين العطاء الاول يبدا في الدنيا حتى يصل الى الاخرة وهذا في قوله تعالى (( انا اعطيناك الكوثر )) والعطاء الثاني يتجلى في الاخرة بقوله تعالى (( ولسوف يعطيك ربك فترضى )) الضحى /٥ ، ولأنه اخروي فقد جاء بالفعل المضارع مسبوقا ب سوف التي تفيد المستقبل البعيد ومما يلفت النظر ان كلا العطائين للنبي صدرا عن الله تعالى بوصفه ربا لا بوصفه خالقا مثلا او رحيما او جبارا او غبر ذلك فالاية (( انا اعطيناك الكوثر )) وان اسندت الفعل الى الضمير المتكلم الا ان الية (( فصل لربك وانحر )) حددت لنا مصدر العطاء وهو الرب المنان العظيم واما الاية الاخرى (( ولسوف يعطيك ربك فترضى )) فواضحة ٠

وان اسناد فعل الاعطاء الى الرب دليل على ان العطاء هو نتاج التدبير والتخطيط الالهي الحكيم الذي تقتضيه طبيعة الرسالة السماوية حين يراد تجسيدها على ارض

الواقع من جهة واستحقاق النبي لمثل ذلك العطاء من جهة اخرى اي انه عطاء خال من المحاباة وبعيد عن الجزافية ٠

ومما يلاحظ ان العطائين السابقين كلاهما عظيم وكبير او كوثر بتعبير القران الكريم ولذا تركت احدى الايتين مصداق العطاء يحتما اكثر من وجه وبعد ان حذف المفعول به اصلا فقالت (( ولسوف يعطيك ربك فترضى )) فحذفه هنا وحذفه هناك للاشارة الى عظمة العطاء واهميته وكان الايتين تستفزان الذهن وتحفزانه لاستجلاء كوثرية العطاء الرباني للنبي محمد (ص) ٠



ثم اذا رجعنا الى كلا العطائين وجدنا ان ما يترتب عليهما ليس الراحة والاسترخاء انما يترتب عليهما العمل والعمل العظيم جدا فقوله تعالى (( انا اعطيناك الكوثر )) ترتب عليه مباشرة (( فصل لربك وانحر )) اي بداية الانطلاق نحو الكمال والدعوة اليه بعد ان ضمن الله تعالى تهيئة الاسباب اللازمة له :-

اولا / ايجاد الذرية المهيأة للخلافة للنبي ، وحجب الموانع التي تحول دون نشره انبتار شانئيه ٠

ثانيا/ اما العطاء الاخروي فيترتب عليه مقام الشفاعة الكبرى ٠

وربما كان العطاء الاخروي (( ولسوف يعطيك ربك فترضى )) نتيجة الشكر الفوري والعملي للعطاء في الدنيا (( انا اعطيناك الكوثر )) ٠

**٢ ـ دلالة لفظة الكوثر**

كوثر على وزن (فوعل) وهي مصدر الفعل (كثر) وهي ايضا صيغة مبالغة من نفس الفعل السابق ومن المعلوم ان صيغ المبالغة تفيد تكثر الفعل وفي الاية تفيد تكثر العطاء الرباني للنبي واكاد اجزم ان اشتقاق اية صيغة اخرى من الفعل (كثر ) لا تؤدي معنى

الكثرة مثلما ادتها صيغة ( الكوثر ) ولذا اختارها القران الكريم لتتناسب وتتناغم مع جو الاية المفعم بالكثرة ٠

كما يمكنك ان تتحسس من هذه الكثرة المختزلة بكلمة ( الكوثر ) انها كثرة في بعد الخير المحض الذي لا يشوبه اي شر وبعبارة اخرى ان افظة الكوثر ليست احادية الدلالة ( الكثرة فقط ) وانما هي ثنائيتها ( الكثرة مع الخير ) ٠



**٣ ـ دلالة لفظ ( ربك )**

ولهذا اللفظة مدلولها الاسر في السياق الذي يميزها عن بقيات صفات الحق تبارك وتعالى مدلولها الدال على كمال العناية الالهية وعلى حكمة المخطط العظيم الرب في الاصل التربية وهي انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام [١] ٠

**٤ ـ دلالة لفظ ( الابتر)**

هو مقطوع الذكر مقطوع العقب مقطوع عن الهداية مقطوع عن الخير فكلمة ابتر تحمل ابعادا متعددة وكثيرة طبعا كثرة في جانبها السلبي متمثلا بالانبتار والنحسار والقلة كما يقول سيد قطب ٠ وقد تقدم ٠

## الدلالة الصوتية

نحن هنا ازاء ظاهرتين صوتيتين اشتملت عليهما السورة المباركة هما تكرار حرف الراء والنسق القراني المنتهي بالراء ايضا ٠

الظاهرة الاولى / تكرار حرف الراء

هل جاء حرف الراء ليخدم قضية سورة الكوثر المباركة وينسجم مع كثرتها المتعددة الابعاد ؟

يذكر الدكتور محمد حسن حسن جبل ان حرف الراء يخرج بامتداد اللسان الى موضع اللام الا ان طرف اللسان لا يثبت مع الراء كما يثبت مع اللام وانما يلمس اعلى الثنايا العليا ويفارقها عدة مرات فيخرج الصوت مكررا [٢] ٠

---

١ ـ المفردات ، ص١٩١ ٠

٢ـ المختصر في اصوات اللغة العربية / د محمد حسن حسن جبل ، ص ١٠٨ ٠



ثم يضيف فهي حرف مكرر باصطلاح سيبويه ٠ واردف بعد ذلك قائلا : وقد وصفها سيبويه بالتفشي يعني انتشار الصوت عند خروجه وهذا واضح فانها تبدو وكانها عدة الاحرف لا حرف واحد [١] ٠

نخلص من هذا الى ان الذي ورد في السورة المباركة اربع مرات هو حرف مكرر و متفش ومنتشر وكل هذه الصفات الثلاث للحرف تعني فيما تعنيه الكثرة وهذا مما يدعم دلالة السورة على الكثرة ويكشف عن الدقة والجمال لاختيار هذا الحرف ولا سيما بعد ان نعلم ان صفة التكرار تميز حرف الراء عن بقية الحروف ٠

**الظاهرة الثانية / النسق القراني**

تن عددا من السور القرانية ولا سيما القصار منها ينتهي بحرف واحد بمثل الفاصلة في نهاية كل اية كما في سورة ( الفلق ، والناس ، والتوحيد ، والكوثر )

فسورة الكوثر شكل حرف الراء فاصلة لاياتها الثلاث ولو كانت هذه الظاهرة في غير القران الكريم من النثر لسميت سجعا فالسجع تقابله الفواصل في القران الكريم وهي

تسمية اختارها جهابذة الفن وعلماء الصناعة تكريما للقران الكريم عن مقايسته بسواه[٢].

ومثلما تسمى فواصل كذلك يمكننا تسميتها النسق القراني .

وهذ النسق الموسيقي له من تاثير في النفس الانسانية المرهفة فلهذا الانسجام بين نهايات الايات اثره في سحر الالباب وشدها اليه وكان القران الكريم يعني بهذا الانسجام الموسيقي عناية واضحة لما لذلك من تاثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس [٣] .

---

١ ـ المصدر السابق ص ١٠٨

٢ ـ تطور البحث الدلالي في دراسة النقد البلاغي واللغوي ، محمد حسين الصغير ، ص ٦٨ .

٣ ـ التعبير القراني ، فاضل السامرائي ، ص ١٩٥ .



ولا يذهبن بنا الظن الى ان هذا النسق الموسيقي كان مقصودا لذاته في القران الكريم بل كانت مراعاة المعنى تقتضي مثل ذلك اي ان القران الكريم راع في كل ذلك ايضا ما يقتضيه التعبير والمعنى ولم يفعل ذلك للانسجام الموسيقي وحده فانه لو لم يكن الجانب الموسيقي مراعي في ذلك لاقتضاه الكلام من جهة اخرى [١] .

ويتجلى في ظاهرة النسق القراني وجه من وجوه اعجاز القران العظيم وذلك ان دلالة اللفظ لا تتحكم بها الفاصلة كما تحكمت بها المعاني الاضافية واقتضاها البعد البياني في استيعاب المراد من وجوهه المختلفة وجوانبه كافة وذلك من دلائل اعجاز القران في جمعه بين الصيغة الجمالية للشكل والدلالة الايحائية في المعنى [٢] .

## الدلالة الصرفية

هنا نقف وقفتين الاولى عند الفعل ( اعطى ) والثانية عند دلالة صيغة ( شانئك)

١ ـ الفعل (اعطى)

من الواضح ان الفعل اعطى جاء بصيغة الماضي في حين ان العطاء الرباني لم يتحقق بعد والمتوقع بل المتيقن تحققه في المستقبل القريب او البعيد ولهذا الاستعمال نظائر كثيرة في القران الكريم فمنها على سبيل المثال قوله تعالى (( اقترب للناس حسابهم )) الانبياء /١ ، وقوله تعالى (( واقترب الوعد الحق )) الانبياء / ٩٧ ، ودلالة هذا الاستعمال هو افادة التحقق على نحو مؤكد وثابت فيكون حكم العطاء الرباني الواقع في المستقبل كحكم شيء وقع في الماضي من حيث حتمية تحققه ولعل الخطاب بهذه الصيغة يكون اكثر تسلية لقلب النبي (ص) واشد تثبيتا لقلوب المؤمنين وابلغ ايلاما لقلوب شانئي رسول الله (ص) ٠

---

١ ـ التعبير القراني ، ص١٩٦ ٠

٢ ـ تطور البحث الدلالي ص ٧١ ٠



٢ ـ صيغة ( شانئك )

شانئ هو اسم فاعل من الفعل شنئ واسم الفاعل كما هو مقرر في علم النحو يدل على من احدث الفعل ولو على نحو القلة فالذي يقرا ولو شيئا يسيرا فهو قارئ والذي يكتب ولو سطرا واحدا فهو كاتب وهكذا والقران الكريم استعمل اسم الفاعل في هذه المورد ولم يستعمل صيغة المبالغة الدالة على الكثرة ولا الصفة المشبهة بالفعل الدالة على الثبوت ، فما سر ذلك ؟

ربما يكون استعمال صيغة اسم الفاعل دون غيره من المشتقات للدلالة على ان من اتصف بصفة ( شنان النبي وبغضه ) ولو بمقدار يسير فانه لا محالة داخل تحت الابتر وفي هذا الاسلوب تحذير خفي وعلى جانب من الخطورة عظيم من ان القليل من بغض النبي (ص) كفيل بان يلحق صاحبه بالعاص بن وائل وامثاله سلوكا وعاقبة ٠

**الدلالة النحوية والبلاغية**

يحسن في هذا الموضع ان نقف عند الدلالات الاتية

١ ـ دلالة اسلوب التوكيد

ورد التوكيد في الاية الاولى من السورة المباركة وفي الاية الثالثة ايضا الا انه جاء في الاية الاولى بالحرف المشبه بالفعل (ان ) فقط بينما ورد التوكيد في الاية الثالثة بثلاثة مؤكدات الحرف المشبه بالفعل (ان) وبضمير الفصل (هو) وب(ال) التعريف الداخلة على الخبر ( الابتر ) ٠



اذا ما علمنا ان للتوكيد دواعيه التي تقتضي باستعماله في هذا المورد وتركه في ذاك ففي قوله تعالى (( انا اعطيناك الكوثر )) مخاطبا النبي جاءت الاية بمؤكد واحد كانه اشارة الى عظمة العطاء الالهي وما لهذا العطاء من ثقل على نفوس الشانئين للنبي (ص) واما الاية الثالثة فجاءت بثلاثة توكيدات لتقرر حقيقة عظيمة لاتباع رسول الله (ص) وثقيلة على اعدائه اذ جاءت هذه الاية تحمل للمشركين خبرين غير سارين البتة اولهما ان النبي الذي وصفوه بانه الابتر قد اعطاه ربه خيرا كثيرا لا حد له وثانيهما ان شانئي رسول الله سيحل بهم ما كانوا يعيبون به النبي بل واكثر مما طمحوا وتخيلوا فانهم لا هو (ص) المنقطعون عن كل خير والمنقطع عنهم كل خير ويسمى التوكيد في الآية الثالثة توكيد قصر اي انه يقصر الانبتار على شانئي رسول الله (ص) دون سواهم ودونه ٠

٢ ـ دلالة صيغة الجمع بالضمير (نا)

هذا الضمير المتصل اما لجماعة المتكلمين ، او للمتكلم المعظم نفسه ، وما ورد في السورة هو من القسم الثاني طبعا ، وقد ذهب القران الكريم هذا الاسلوب في موارد التهويل والتعظيم ، كقوله تعالى (( انا نحن نحي الموتى)) يس / ١٢ ، او المواقف التي يلزمها كبير رعاية وعظيم تدبير ، كقوله تعالى (( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )) الحجر /٩ ، وقوله تعالى (( انا كفيناك المستهزئين )) الحجر/٩٥ ٠

وهذه الصيغة جاءت منسجمة تمام مع جو السورة المباركة حيث عظمة العطاء وفقها عظمة المعطي سبحانه وتعالى وزد على ذلك ان الموقف الذي نزلت فيه كان موقف استهزاء وسخرية بالنبي العظيم (ص) من قبل المشركين وهو ما يتطلب تطيبا لنفسه المقدسة وتثبيتا لقلوب اتباعه وتيئيسا وتخويفا لقلوب اتباعه فكان هذا التعبير لبيان عظمته جلت قدرته فالعظماء حين يتحدثون عن انفسهم فلا يعنون بشخصهم فقط بل يخبرون عمن تحت امرتهم وهي كناية عن القدرة والعظمة وعن وجود من ياتمر بأمرهم [١] ٠

وهذا وارد كثيرا في لغة العرب التي راعى القران الكريم كثيرا من اساليبها ٠

---

١ ـ الامثل ، ص٣٨٦ ٠



## ٣ ـ دلالة الحذف في السورة

والحذف مما يستوقفنا في هذه السورة المباركة حيث لم تخل منه اية من اياتها الثلاث على رغم قصرها ففي الاية الاولى حذف الموصوف واقيم الوصف (الكوثر) مكانه وفي الاية الاخيرة حذف قيد ( الابتر) ٠

والذي يبدو ان ظاهرة الحذف في السورة قد اغنت النص الكريم واعطته بعدا دلاليا ما كان ليتم لولا الحذف وهذا البعد الدلالي يتبلور في تحفيز ذهن القارئ للنص الكريم واعطاء افقه الفهمي سعة وحرية يتحرك فيها فكره لاستجلاء معنى النص وترتيب المصاديق التي يمكن ان يحمل عليها دون تعسف او تندرج هي تحته من غير تحميل النص ما لا يحتمل ٠

فلو بدانا بالاية الاولى وقدرنا المحذوف لكان على سبيل المثال : انا اعطيناك الذرية الكوثر او النهر الكوثر او الخير الكوثر او غيرها ، ولو ذكر القران واحد من هذه

الالفاظ او غيرها لكان حصرا للكوثر في نطاق معين لا يمتد الى سواه الا انه حين حذف الموصوف ستكون جميع الاحتمالات داخلة تحت مفهوم الكوثر ٠

واذا وجدنا الاية الثانية وجدنا مفعول ( وانحر) محذوفا ايضا لكي لا يقيد بقيد محدد فجعلته الاية واسعا شاملا لاكثر من مصداق وان كنا قد رجحنا نعنى النحر فيما تقدم وفي نفس الاية حذف اخر وهو حذف القيد ( لربك) فالتقدير فصل لربك وانحر لربك وانما حذفت شبه الجملة ( لربك) الثانية لسببين كما افهم :-

الاول / ان تكرار شبه الجملة مرة ثانية ليس بمستحسن البتة اذ تفقد العبارة جزالتها ورشاقتها لو قيل فصل لربك وانحر لربك ٠

الثاني / حفظ النسق القراني في السورة حيث ان اياتها الثلاث تنتهي بحر الراء ولولا الحذف لما حفظ النسق القراني ٠

ولو انتقلنا الى الاية الثالثة نجد قيد ( الابتر) حذف ايضا فلم يصرح القران الكريم بان



شانئي النبي (ص) ابتر من الذرية والعقب او ابتر من الخير والفلاح او ابتر من الهدايا او ابتر من غير ذلك فترك لنا باب الاحتمالات المكروهة التي يستحقها مفتوحا وفي ذلك سر اي سر ؟

على الرغم من انني وربما انت معي نتصور للوهلة الاولى ان هذا الموقف الذي اثاره العاص بن وائل كما تنص الروايات بوصفه النبي (ص) انه ابتر استنزل غضب السماء مترجما بكلمات داعبت قلب الرسول (ص) من جهة والقت في قلوب اعدائه وشانئيه ما القت من تأييس وحسرة وتوعد بكل ما تجزع منه نفوسهم المعتلة وتكرهه قد نتصور موقف العاص هذا هينا موازنة بتلك المواقف العصيبة التي لاقى اذاها رسول الله (ص) من مشركي مكة والتي ينبئك التاريخ بغيض من فيضها اذا استنبائه ذلك الموقف الذي تتصوره هينا وبسيطا قد نظرت اليه السماء نظرة مغايرة تماما لتصورنا نظرت اليه على انه قضية كبرى محورها محمد بن عبد الله ومعركة طرفها الاول نبي السماء

(ص) وطرفها الاخر أعداءه وشانؤه ولابد في هذه الساعة او الساحة من تدخل للسماء لحماية رسولها ودينها وقطع دابر من يضمرون للرسول والدين سوء٠

وقد بدت المعركة كلامية او حربا باردة او قد جذوتها المشركون فلم تلبث سورة الكوثر ان واجهت هذه الحرب بحرب اعلامية حامية من خلال كلماتها العشر التي يراها القارئ المتعجل كلمات هادئة غارقة في موسيقاها الداخلية ويجد المتامل المدقق الشرر يتطاير من حروفها لانها كاشفةعن غضب السماء ووعيدها وقد وظف الحذف في سورة الكوثر المباركة توظيفا منتجا ليكون ابرع وسيلة في كسب هذه المعركة الاعلامية فالخير كل الخير غير محدد ولا مقيد سيعطى للنبي (ص) والانبتار كل الانبتار غير محدد ولا مقيد يستحقه شانئوه ومبغضوه ٠

وهل من اروع والسورة نزلت في هذا الجو المحمى من التفاتة القران الى النبي العظيم (ص) مخاطبا اياه في الاية الاولى تكريما وتعظيما لمقامه الشريف وتكييبا ومسحا على قلبه الموجع بهذا الخطاب المكتنز (( انا اعطيناك الكوثر)) في حين اعرضت الاية الثالثة عن الشانئ المنبتر فلم تسمه ولم تقل انا سنجعله الابتر مثلا وفي ذلك تحقير له



اي تحقير وتصغير لشانه جعله ادنى واهون من ان يذكر بالاسم او يوجه اليه الخطاب او ان يقف قبالة السماء بالضد منها ٠

وربما يمكن ان نستفيد من خطاب القران الكريم ان النبي (ص) في الاية الاولى واعراضه عن العدو الشانئ في الاية الثالثة ان الله تفضل وامتن على نبيه (ص) بان اعطاه الكوثر اما عدوه شانئه فكان الابتر لان الانبتار هو استحقاقه ونتيجة طبيعية ترتبت على سوء عقيدته وبغضه للنبي ولذا لم يقل القران باننا جعلناه الابتر بل قال (( ان شانئك هو الابتر)) ٠

## الشخصية المحورية في سورة الكوثر

ان المخاطب المباشر بالسورة هو الرسول الاعظم (ص) والسورة لم تسم الرسول باسمه الشريف بل وجهت الخطاب اليه من خلال الضمير (ك) ومرد ذلك التكريم النبي

(ص) والحفاوة به لحد لا يخاطبه القران الكريم باسمه الصريح وهذا هو المنهج القران فانه خاطب الانبياء السابقين بأسمائهم فقال (( يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة )) وقال (( ان ابراهيم قد صدقت الرؤيا )) وقال (( يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض )) وقال (( ياعبسى بن مريم )) وحين جاء الخطاب الى النبي الاعظم (ص) قال له القران الكريم (( يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك )) وقال (( يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا )) ٠

ان الشخصية المحورية في السورة المباركة هو النبي (ص) وقد خاطبته السورة بضمير المخاطب فقالت :

((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)))



وانت تجد ان كاف الخطاب وردت مرة في كل اية متصلة بالكلمة الثانية منها فافتتحت خطابها للنبي (ص) ب ( اعطيناك ) كونه (ص) هو من يستحق العطاء الرباني دون اعدائه وشانئيه ثم جاءت الاية الثانية وقد اضيفت كلمة ( رب ) الى الكاف فصارت ( ربك ) مع ان الله هو رب العالمين وليس رب النبي فقط الا ان في ذلك اكثر من مغزى فمنها تشريف النبي (ص) من خلال اضافة الرب اليه ومنها الاشارة الى انه (ص) يدرك معنى الربوبية الالهية ادراكا لائقا بها كما لم يغفل المفسرون ان كلمة ربك تستبطن وجوب القصد والقربة في العبادات [١] ٠

واذا ما انثينا نحو الاية الثالثة من السورة لوجدنا الضمير (ك) متصلا بالكلمة الثانية من الاية (شانئك ) وهنا تستكمل الفكرة ابعادها جميعا حيث يعلن القران الكريم بصراحة لا تشكيك فيها ان موقفه من الاشخاص يكون على اساس موقف الاشخاص انفسهم من النبي الاعظم (ص) فمن حاره وعاداه وشنئه فمصيره القلة والانحسار والانبتار في

الدنيا والاخرة ومن وده واهل بيته (ع) وسار بركبهم فمصيره ايل الى رحمة الله تعالى[٢] .

النتيجة هذه مجموعة بجملتين هما : ان عدو محمد هباء لا اثر له ولا ذكر ام ذكره فباق ببقاء الله تعالى [٣] .

وهنا التفاتة جميلة تنقل عن الشيخ محمد عبده ، ان شانئ الرسول (ص) لم يكن بشنؤه لشخصه لان شخصه كان محببا للنفوس وانما كان الشانئون يشنئون ويمقتون ما جاء به من الهدى وممن يشنا ما جاء به الرسول ويدخل فيما يضمه معنى الابتر اولئك الذين يتركون كتاب الله ويتمسكون بالظنون واقوال غير المعصومين ويلصقون البدع بالدين[٤] .

---

١ـ الامثل ، ص٣٨٥ .

٢ ـ في ضلال القران ص٣٦٦ .

٣ـ التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، مج٧، ص٦١٧ .

٤ـ المصدر نفسه



وفي ختام البحث نذكر فيها من الاعجاز ما لايخفى وهو ان مشركي قريش وصفوا النبي بالابتر الا ان القران الكريم لم يذكر لنا وصفهم ولكن بعد ان نقرا الاية الاخيرة نفهم ان هذا الوصف الذي ثبت لهم انما كان نفس الوصف الذي عابوا به النبي (ص) فاستحقوا جزاء من سنخ عملهم السيئ .